

الكناية في بعض آيات القرآن الكريم ودورها في عملية توصيل المعنى

The metonymy in some of the holy Qur'an and its role in the process of conveying the meaning

د. بن عيسى فاطمة

Ben aissa fatima

جامعة تيسمسيلت (الجزائر)، fben7811@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/07/27. تاريخ القبول: 2021/09/07. تاريخ النشر: 2021/09/30.

ملخص:

يتناول هذا المقال البحث في البعد التواصلية للكناية في النص القرآني، باعتبار أن الكناية من أهم المرتكزات البيانية التي تقوم عليها البلاغة العربية وبالتالي النص القرآني. فبالإضافة إلى وظيفة الكناية الجمالية في القرآن الكريم نجد أن هناك وظيفة تواصلية تضع المعنى واضحا وجليا في نفس المتلقي وهذا ما سنحاول إثباته.

الكلمات المفتاحية: البلاغة؛ الكناية؛ القرآن الكريم؛ المعنى؛ الأساليب البلاغية.

Abstract :

This article deals with the study of the epigraphic dimension of the metaphor in the Qur'anic text, as the quintessence is one of the most important pillars on which the Arabic rethoric and the Qur'anic text are based. In addition to the function of the aesthetic metaphor in the Quran, we find that there is a function of communication that purs the meaning clearly and clearly in the same recipient and this is what we will try to prove.

Keywords : rethoric ; metaphore ; Qoran language ; meaning ; rethoric styles.

1. مقدمة:

تعدّ البلاغة من العلوم العربية التي لها بالغ الأهمية ذلك أنها تعنى بجانب مهم في اللغة وهو الجانب البياني الفني، وما زادها شأنًا هو ارتباطها بالقرآن الكريم الذي نلمس فيه مختلف فنون البلاغة من معانٍ وبديع وبيان، هذا الأخير له طابعه الخاص في اللغة حيث يضيف عليها من الصور الفنية التي تميز بين الحقيقة والجاز في قالب بياني محكم الاتساق، ومن أهم هذه الصور البيانية الكناية، والتي نلحظها خاصة في النص القرآني الذي فيه من أساليب الجمال ما يثير في النفس الافتنان والتأثر بكلماته العذبة و القوية لفظًا ومعنى والتي عجز كل لسان بشري عن الإتيان بمثلها.

فالقرآن الكريم فيه من ضروب الكناية ما يدفع القارئ للوقوف عندها والتدبر والتأمل في معانيها، وعليه يمكن أن نطرح عدة إشكالات أهمها: ما المقصود بالكناية ؟ وما هي أسبابها؟ وكيف تحلت الكناية في النص القرآني؟.

1_ مفهوم الكناية:

أ- لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور (ت 711هـ) تعريف الكناية في مادة (ك ن ي) كَتَى: "الكناية على ثلاثة أوجه: أحدهما أن يكنى عن الشيء الذي يستفحش ذكره، والثاني أن يكنى الرجل باسم توقيرا وتعظيما له والثالث أن تقوم الكناية مقام الاسم فيعرف بها صاحبها كما يعرف باسمه كأبي لهب اسمه عبد العزى عرف بكنيته فسماه الله بها" ¹ (ابن منظور، 2000، ص: 123)، و"الكناية أن تتكلم بشيء وتريد غيره، وكنى عن الأمر بغيره مما يستدل عليه نحو الرث والغائط ونحوه" ² (ابن منظور، 2000، ص: 124)، وقال الزمخشري (ت 399هـ) في مادة كنى: "كنى عن الشيء كناية، وكنى ولده، وكناه بكنية حسنة" ³. (الزمخشري، د.ت)، ص: 149)

ب- اصطلاحا:

تكاد تكون الكناية من أكثر الأساليب البلاغية من حيث اختلاف البلاغيين القدماء، ومن أوائل العلماء الذين تعرضوا للكناية عبر التاريخ هو أبو عبيدة معمر بن مثنى (ت 209هـ) في كتابه مجاز القرآن ويمثل لذلك بقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ ⁴. (سورة الرحمن، الآية: 26) وقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾ ⁵. (سورة القيامة، الآية: 26) وقوله تعالى: ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ ⁶. (سورة ص، الآية: 32)

ثم يعقب عليها بأن: الله سبحانه كنى بالضمير في الأول عن الأرض وفي الثانية عن الشمس وفي الثالثة عن الروح

ووردت الكناية عند الجاحظ (ت 255هـ) بمعناها العام: "هو التعبير عن المعنى تلميحاً لا تصريحاً وإفصاحاً كلما اقتضى الحال ذلك"⁷ (عتيق، 1985، ص: 204)، ويفهم ذلك من قوله: "رب كناية تربي على إفصاح"⁸ (الجاحظ، د.ت)، ص: 88)، والذي يتبع الجاحظ فيما قال عن الكناية، وفيما أورده من أمثلة لها يرى أنه استعملها استعمالاً عاماً يشمل جميع أصرب المجاز والتشبيه والاستعارة والتعريض دون أن يفرق بينها وبين هذه الأساليب.

فأما المبرد (ت 285هـ) لم يعرف الكناية، لكنه قسم الكلام إلى ضرب وجعل الكناية أحد الضروب ثم جعلها على ثلاثة أصرب:

1- التعمية والتغطية. 2- الرغبة عن اللفظ. 3- التفخيم والتعظيم.⁹ (المبرد، د.ت)، ص: 209)

فالمبرد لم يعرف الكناية وإنما التفت إلى ما تؤديه بعض صورها من فائدة في صياغة الكلام، ولما جاء قدامة بن جعفر (ت 337هـ) ذكر في ائتلاف اللفظ والمعنى صورة بلاغية سماها الإرداف وعرفها: "بأن يريد الشاعر الدلالة على معنى من المعاني، فلا يأتي باللفظ الدال على ذلك، بل بلفظ يدل على معنى هو ردفه وتابع له"¹⁰. (قدامة، 1978، ص: 113)

أما أبو هلال العسكري (ت 395هـ) فيعتبر الكناية والتعريض والتورية من جنس واحد وهي

عنده "تكنى عن الشيء ويعرض به ولا يصريح على حسب ما عملوا باللحن والتورية عن الشيء"¹¹ (العسكري، 1981، ص: 268)

قال تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾¹² (سورة الرحمن، الآية: 56)، جعل أبو هلال العسكري

قصور الطرف كناية عن العفة لأن المرأة إذا عفت قصرت طرفها عن زوجها¹³

(العسكري، 1981، ص: 268)، أما ابن رشيق القيرواني (ت 463هـ) "فبحث عن الكناية تحت باب

الإشارة وقد جعلها إطاراً عاماً تشمل الوحي والإيماء والتعظيم، والتعريض، والتلويح، والكناية، والتمثيل،

والرمز واللحن والتورية ويلاحظ أنه جعل الكناية شيئاً واحداً"¹⁴ (القيرواني، 1981، ص: 271)، معنى هذا

أن الكناية عند القيرواني تدخل تحت إطار ما تلمح إليه الكلمة في غير ظاهرها الصريح كالإشارات

والإيماءات.

ليتحدّد بذلك أن الكناية هي: «أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيرمي إليه ويجعله دليلاً عليه»¹⁵ (الجرجاني، (د،ت)، ص: 52)

وقد أثار فهم عبد القاهر الجرجاني للكناية في البلاغيين الذين جاءوا بعده، فنقل ابن الزمليكان تعريفه لها نقلاً يكاد يكون حرفياً، وكذلك الذي فعله الفخر الرازي (ت 607هـ) وابن سراج المالكي، أما ابن الأثير فقد وسع من مفهومها حينما رآها كل أسلوب يحتمل معنيين: "أحدهما قريب يدل على ظاهر اللفظ وهو مالا يقصده المتكلم عادة، والآخر بعيد يؤدي إليه القريب، وهو مراد المتكلم في الغالب"¹⁶ (ابن الأثير، (د.ت)، ص: 58)، فالكناية تعني بالكلام الذي يحتمل أكثر من معنى وبالضبط الكلام البليغ متعدّد المعاني الذي معناه الظاهر يخالف معناه الباطن وهو المقصود بالكناية التي تعني بالمعنى الخفي. و منه يمكننا القول أن الكناية هي: «ترك التصريح بذكر الشيء إلى ما يلزمه»¹⁷ (زناد، 1992، ص: 84)، مثال:

طَوِيلُ النَّجَادِ رَفِيعُ الْعِمَادِ *** كَثِيرُ الرَّمَادِ إِذَا مَا شَتَا.

يتوفر في البيت كنايةات: طويل النجاد، رفيع العمداد، كثير الرماد، نتناول ثلاثة منها بالتحليل:

ف"كثير الرماد" ملفوظ يقوم على الإضافة اللفظية ويتكون من مضاف هو صفة ومضاف إليه هو اسم، وهو لذلك يقبل أن يتحوّل إلى مركب نعني ولكن المعنى فيه واحد: كثير الرماد: رماده كثير والمفهوم من كثرة الرماد صفة الكرم، وما بين اللفظ المستعمل والمعنى المقصود فضاء يرتقه المتقبّل¹⁸ (زناد، 1992، ص: 85)

وقد عرّفها الخطيب: «بأنها لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة ذلك المعنى»¹⁹ (الصعيد، 1999، ص: 150)، أي أن المعنى المراد من الكلام أو اللفظة هو المعنى الخفي لا الجليّ الواضح لكن هذا لا يمنع من تقبل المعنى الحقيقي، فالكناية تقوم على معنى مجازي ومعنى ظاهر حقيقي، فهي ضرب من المجاز ممزوج الحقيقة. "ومن هنا تكون الكناية واسطة بين الحقيقة والمجاز فهي ليست حقيقة؛ لأن اللفظ لم يرد به معناه الحقيقي، بل أريد به لازم معناه، وليست مجازاً؛ لأن المجاز لابد له من قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي، أما قرينة الكناية فهي مُجَوِّزة لإرادة المعنى الحقيقي، وهذا هو مناط الفرق بين الكناية والمجاز. وهذا لا يعني: أن كل مثال للكناية يجوز فيه إرادة المعنى الحقيقي، فقد تمتنع إرادته؛ لأنه غير متحقق في الواقع"²⁰ (ينظر: الصعيد، 1999، ص: 150)، فالرابط بين الحقيقة والمجاز في الكناية هو رابط أو قرينة دالة على المعنى المقصود الذي لا يكون بالضرورة المعنى الحقيقي كما لا يكون هو المعنى

المجازي، وإنما يتأتى معناها المقصود من خلال الواقع أو المقام الذي ضربت فيه.

2_ أقسام الكناية: تقوم الكناية على أقسام تراعي فيها عدّة اعتبارات نجملها في ما يأتي:

أ_ باعتبار طبيعة مدلولاتها: يسير الإنتاج الكنائي في خطوط ثلاثة رئيسة لأن المستهدف يكون صفة بعينها أو موصوفاً محدداً، أو نسبة أحدهما للآخر:

1_ كناية عن صفة:

وهي التي يطلب لها نفس الصفة والمراد بالصفة هنا الصفة المعنوية مثلاً كالجود والكرم والشجاعة... وهلم جرا. ومن أمثلتها في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرُطُومِ﴾²¹ (سورة القلم، الآية: 16)، ذكرت هذه الآية في: ذم أحد سادات قريش، أي ستعلمه بعلامة على أنفه تظل باقية لا يمحي أثرها، قيل هو الوليد بن المغيرة المخزومي، فالرسم على الخرطوم كناية عن صفة المهانة والمذلة التي تلحقه²² (الزمخشري، 1983، ص: 349)

والكناية عن الصفة ضربان

أ_ قرينة:

"ينتقل ذهن المتلقي فيها عن المعنى الوضعي إلى المعنى المراد مباشرة دون وسيط، وسميت قرينة لقصر زمن الإدراك منها بسبب انتفاء الوسائط"²³ (العاكوب والشتيوي، د.ت)، ص: 548)، هنا تكون الكناية بسيطة لا تحتاج وسيط بين المعنى الخفي والمعنى الظاهر. ومثال الكناية القرينة قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾²⁴ (سورة آل عمران، الآية: 155)، كناية على أنه جاف غليظ فظ، فإن غلظ القلب ملئ جفوة وقساوة

ب_ بعيدة:

"ينتقل فيها الذهن من المعنى الأولي إلى المعنى المراد بوسيط أو بوسائط، وسميت بعيدة لبعد زمن الإدراك المراد منها"²⁵ (العاكوب والشتيوي، د.ت)، ص: 548)، يحتاج لفهم هذه الكناية وجود قرين أو وسيط يدل على المعنى الخفي بحيث يربط بين المعنى الحقيقي الظاهر والمعنى الخفي كقولهم في الكناية عن المضياف هو كثير الرماد، فإنّ الذهن ينتقل من كثرة الرماد إلى كثرة المطابخ ومنها كثرة الضيوف وهي المقصودة.

2_ كناية عن موصوف:

"وكيفيتها أن يذكر المتكلم، صفة خاصة بموصوف فينتقل الذهن من تلك الصفة إلى المتحقق بها والمتخصص بها أكثر من غيره"²⁶ (العاكوب والشتيوي، (د.ت)، ص: 548)، هذا يعني اختصاص الصفة بموصوف معين تكون تلك الصفة ملازمة له وتدل عليه. ومثالها قوله تعالى: ﴿أَوْمَن يُنَشَأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾²⁷ (سورة الزخرف، الآية: 18)، "والكناية هنا كناية عن موصوف هي الأنثى، فقد عدل عن التصريح باسم الأنثى إلى تركيب يشير إليها، ويعد كناية عنها، وهو التنشئة في الحليّة، والمراد نفي ذلك عن الملائكة"²⁸ (الزركشي، (د.ت)، ص: 391)، هذا يدل على أن الكناية عن الموصوف يشار إليها بخاصية ملازمة للموصوف وتعود إليه بطريقة غير مباشرة وفي الوقت نفسه لا ترتبط إلا به، والكناية عن الموصوف قد تقترب تارة وتبتعد تارة أخرى.

أ_ قريبة:

هي أن يتفق في صفة من الصفات اختصاص بموصوف معين عارض، فتذكرها مفصلاً بها إلى ذلك الموصوف مثل: جاء المضيف، وتزيد زيدا، العارض اختصاص المضيف بزيد²⁹. (السكاكي، (د.ت)، ص: 402)

ب_ بعيدة:

هي أن تتكلف اختصاصاً بأن تضم إلى آخر فتلفق مجموعاً وضعياً مانعاً من دخول كل ما عداه مقصودك فيه، مثل أن تقول في الكناية أنّ الإنسان: حي مستوي القامة، عريض الأظافر³⁰. (السكاكي، (د.ت)، ص: 402)

3_ كناية عن نسبة:

"ويراد بها إثبات أمر لأمر أو نفيه، أو بعبارة أخرى يتطلب فيها تخصيص الصفة بالموصوف"³¹ (عتيق، ص: 217)، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتًا عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّآخِرِينَ﴾³² (سورة الزمر، الآية: 56). في فرط جنبه وجانبه، ويزيد في حقه.

ب_ أقسام الكناية باعتبار الوسائط: تنقسم الكناية باعتبار الوسائط إلى أربعة أقسام:

1_ التعريض

أ_ لغة:

خلاف التصريح³³. (الهاشمي، 2003، ص: 289)

ب_ اصطلاحاً:

هو أن يطلق الكلام ويشار به إلى معنى آخر يفهم من السياق نحو قولك "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده تعريضا بنفي الإسلام عن المؤذي"³⁴ (الهاشمي، 2003، ص: 289)، فالتعريض هو الإشارة إلى المعنى بأسلوب غير مباشر حيث يضبطه ويبينه السياق الذي يرد فيه. ومثال التعريض في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿فَإِنْ زُلْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾³⁵ (سورة البقرة، الآية: 209)، تعريض بأن قومه أشركوا واتبعوا أهواءهم وزنوا فيما معنى من الزمان لأن الرسول لم يقع منه ذلك فأبرز غير الحامل في معرض الحامل ادعاء³⁶. (الزركشي، ص: 312)

2_ التلويح

أ_ لغة:

"أن يشير إلى غيرك عن بعد"³⁷. (مراغي، 1993، ص: 305)

ب_ اصطلاحاً:

"الكناية فيها الوسائط بين اللازم والملزوم"³⁸ (مراغي، 1993، ص: 305)، نحو أولئك قوم يوقدون نارهم في الوادي، كناية عن بخلهم، فقد انتقل من إيقاد النار في الوادي المنخفض إلى اختفاء النيران ومنها في عدم رغبتهم في ائتياء ضيوفهم إليها، ومنها إلى بخلهم³⁹. (مراغي، 1993، ص: 305)

3_ الرمز

أ_ لغة:

الرمز في اللغة أن تشير إلى قريب منك خفية بشفة أو حاجب"⁴⁰ (العاكوب

والشتيوي، ص: 560)

ب_ اصطلاحاً:

"كناية قلت وسائطها مع خفاء اللزوم" ⁴¹ (العاكوب والشتيوي، ص: 560)، فالكناية هنا تكون بالتعبير عنها برمز مع ضرورة التخفيف من الوسائط وذلك بطريقة خفية تجعل الكناية بعيدة المعنى وبالتالي أكثر بلاغة وقوة.

4_ الإشارة والإيماء:

هي "كناية قلت وسائطها مع وضوح الدلالة" ⁴² (السكاكي، ص: 411)، والإشارة والإيماء عكس الرمز الذي يقوم على خفاء الدلالة وسترها في حين الإشارة تقوم على الإيماء للدلالة بطريقة واضحة مع التقليل من الوسائط في كل منهما. مثل قول الشاعر:

أَوْ مَا رَأَيْتَ الْمَجْدَّ أَلْقَى رَحْلَهُ ***
فِي آلِ طَلْحَةَ ثُمَّ لَمْ يَتَحَوَّلْ ⁴³ (السكاكي، ص: 411)

فإن في الإفادة: أَنَّ آلَ طَلْحَةَ أَمَاجِدٌ ظَاهِرَةٌ.

3_ الأبعاد النفسية للكناية القرآنية

الكناية إحدى طرائق التعبير التي اهتدى إليها الإنسان لتوصيل انفعالاته إلى الآخرين، كما أنها تمتاز بسلطان كبير على نفوس المتلقين، لما تنطوي عليه من تحريك الذهن ومضاعفة فعاليته في تحصيل مراده، وللكناية في القرآن الكريم أبعاد نفسية نذكر منها:

3-1- إثبات المعنى والمبالغة فيه:

ويعني تأكيد المعنى وإثباته من ناحية وتبعث الطمأنينة في النفس من ناحية، ويفضل إثبات المعنى بالكناية دون غيرها لأنها تثبت المعنى بالدليل الذي يتبعها، والبرهان الذي ينفي كل شيء عنه ⁴⁴ (العاكوب والشتيوي، ص: 556)، فالكناية تقوم على تأكيد المعنى وترسيخه في النفس، وهي من أقوى الأساليب البلاغية في إثبات المعنى وتوصيله بطريقة فنية تأثيرية على نفس المتلقي.

3-2- التلميح وأثره في النفس:

ويتمثل هذا البعد النفسي في الحجب والخفاء الذي يسدله على المعنى المراد أساساً مع الإشارة إليه، فهذا يجعل للمعنى وقعا في النفس على أحداث الاستجابة الملائمة، ففي الصورة الكنائية قد اختبرت ونسقت تنسيقاً فنياً دقيقاً بحيث يجوز تفسيرها ⁴⁵ (شعيب، د.ت)، ص: 213)، يكون وقعها في النفس

أقوى، وذلك بفعل الغموض والخفاء الذي يجعلها تحتاج إلى قراءة متعمقة للكلام من أجل فهم معناه ومحتواه.

والقرآن الكريم يزخر بالكثير من هذه الأساليب التي تعتمد على التلميح لتوصيل المعاني، وجعلها أوقع في النفس، ومثاله قوله تعالى: ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا ﴾⁴⁶ (سورة الرعد، الآية: 17)، "فكنى عن العلم بلفظة الماء، وكنى عن القلوب بلفظة الأودية وعن الضلال بالزبد".⁴⁷ (السيوطي، ص: 579)

3-3- التجسيم:

للكناية أثر بالغ من حيث قدرتها على تجسيم المعاني وإخراجها في صورة محسوسة تزخر بالحياة والحركة وبذلك يتبين عن معانيها وتوضحها وتحدث الإعجاب وانبهار العيون، لأن النفس تتأثر بالمدرجات الحسية أكثر من المعنوية لأن الحسّ يوصل إلى معرفة النفس وإدراكها"⁴⁸ (شعيب، ص: 222)، ومثاله قوله تعالى: ﴿ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ﴾⁴⁹ (سورة الإسراء، الآية: 51)، فترى الندم في الآيتين التي تسبقها والكبر والغطرسة في الأخيرة بدا للأعين، وتمثيل أمام الناظرين بما يصحبها من حركات محسوسة تدل عليها وتشير إليها⁵⁰ (لاشين، 2004، ص: 20)، تكمن أهمية البلاغة عامة والكناية خاصة في أنها تجسّد المعنى في قالب حي تكون أكثر إثارة وتأثيراً في النفس.

3-4- التسامي والترفع:

من الأبعاد النفسية المهمة التي تفيدها الكناية وتتوفر عليها "التسامي والترفع فقد يلجأ المتكلم للتعبير عن معنى ما إلى الابتعاد عن الألفاظ الظاهرة فيه، وتوظيف ألفاظ أخرى لا يدل ظاهراً عليه، وتكون مقبولة لدى السامعين، وذلك لاعتبارات نفسية بعضها يعود على المتكلم كأن يكون ذا منزلة رفيعة لا يليق به أن يجري بعض الألفاظ البذيئة على لسانه، كما للصورة التي تستعمل للكناية عن المعاني القبيحة، فالصورة الكنائية لها دلالة إيجابية مناسبة تختلف عن الدلالة الإيجابية التي يخلقها التعبير المباشر"⁵¹ (ينظر: تاجي، 1984، ص: 233)، إذ أن أساس الكناية هو الكلام الراقى الذي يترك لمسة أو أثراً طيباً في النفس وذلك يكون باختيار الكلام الجميل النقي لفظاً ومعنى البعيد عن الفظاظة والقبح الذي تنفر منه النفس.

3-5- التفخيم والتعظيم:

الكناية ترفع من قيمة المعنى البعيد وتؤكد هذا المعنى في نفس المتلقي وتعظمه وتفخمه⁵²) ينظر: تاجي، 1984، ص: 230)، نحو قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾⁵³ (سورة العلق، الآية: 9، 10)، كنى عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولم يقل: ينهك تفخيما لشأنه وتعظيما لقدره.⁵⁴ (الصابوني، ص: 584)

3-6- الاستعطاف:

هو الالتماس وطلب العون ويكون غالبا من هو أدنى منزلة إلى أعلى منزلة كما بين العبد وربّه، كقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾⁵⁵ (سورة مريم، الآية: 4)، "كناية عن الهرم والضعف وطلب العون من الله تعالى"⁵⁶ (الصابوني، ص: 217)، حيث تقوم الكناية على أساس التأثير والاستمالة من خلال مسّ الجانب العاطفي الحساس في النفس.

4_ أسباب الكناية

نستطيع أن نحس بروعة الكناية القرآنية وجمال تصويرها وحسن أدائها وروعة استعمالها من خلال التمعن في لغة القرآن ومعانيه، فللكناية في القرآن الكريم أسباب. وتمثل أهم هذه الأسباب فيما يلي:

أولاً: التنبيه على عظم القدرة: كقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾⁵⁷ (سورة الأعراف، الآية: 189)، كناية عن آدم⁵⁸. (السيوطي، ص: 575)

ثانياً: ترك اللفظ إلى ما هو أجمل منه: كقوله تعالى: ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ﴾⁵⁹ (سورة الأنفال، الآية: 16)، كنى بالتحيز عن الهزيمة⁶⁰. (الزركشي، ص: 302)

ثالثاً: أن يكون التصريح ممّا يستقبح ذكره: كناية الله عن الجماع بالملازمة والمباشرة والإفضاء والرفث والدخول، كقوله تعالى: ﴿الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ﴾⁶¹ (سورة الأعراف، الآية: 189)، فالرفث كناية عن الجماع وعدي التعريف لتضمن معنى الإفضاء وهو من الكنايات الحسنة⁶². (الصابوني، ص: 131)

رابعاً: قصد البلاغة والمبالغة: قال تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾⁶³ (سورة المائدة، الآية: 64)، البسيط كناية عن كرمه تعالى، وسعة جوده، وثني اليد وإن أفردت في الأول، ليكون أبلغ في السخاء والجود⁶⁴ (الزركشي، ص: 131)

خامساً: قصد الاختصار: ومنه الكناية على أفعال متعدّدة بلفظ فعل كقوله تعالى: ﴿لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾⁶⁵ (سورة البقرة، الآية: 24)، أي أنهم لا يستطيعون أن يأتوا بسورة قرآنية ولن يستطيعوا.

سادسا: التنبيه إلى مصيره: قال تعالى: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾⁶⁶ (سورة المسد، الآية: 4-5)، أي غمامة ومصيرها أن تكون حطبا لجهنم⁶⁷. (السيوطي، ص: 577)
سابعا: قصد المبالغة في التشنيع: قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾⁶⁸. (سورة الإسراء، الآية: 29)

إن التعبير عن البخل باليد المغلولة إلى العنق ... يوضح لنا الشكل المنفرد والمبغض في صورة قوية فهذه اليد إن غلت إلى العنق لا تستطيع أن تمتد، فهنا يظهر لنا شكل البخل الذي لا يستطيع أن يمد يده ليقوم بشيء من الحقوق⁶⁹. (دوب، 1999، ص: 336)
ثامنا: تحسين اللفظ: قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾⁷⁰ (سورة الصافات، الآية: 49)، فإن العرب كانت عاداتهم منذ الجاهلية عن حوائر النساء بالبيض⁷¹. (الزركشي، ص: 307)

تاسعا: هو أن تعتمد على جملة معناها على خلاف الظاهر: فتأخذ الخلاصة من غير اعتبار مفرداتها بالحقيقة والمجاز، فتعبر بها مقصودك، وتعدّ من الكناية العربية استنبطها الزمخشري ومثّل لها بقوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾⁷² (سورة الزمر، الآية: 67)، كناية عن عظمت وجلالته من غير ذهاب بالقبض واليمين إلى جهتي الحقيقة والمجاز⁷³. (الصاوي، د.ت)، ص: 251
5_ بعض المواضع في الكناية القرآنية:

لقد تعدّدت الكنايات في القرآن الكريم وذلك أن لغة القرآن لغة راقية رفيعة تتميز بأسلوب بلاغي منفرد يدل على قدرة الخالق وإبداعه وهو ما تثبته آيات الله في كتابه المنزل.
أهم مواضع الكناية القرآنية:

5-1 أهوال يوم القيامة:

قال تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾⁷⁴ (سورة الانشقاق، الآية: 19)، كنى بالطبق عن شدّة الأهوال التي يتلقاها الإنسان، وقوله تعالى: ﴿وَالْتَقَّتِ السَّمَاءُ بِالسَّاقِ﴾⁷⁵ (سورة القيامة، الآية: 29، 30)، وهي كناية عن هول يوم القيامة ويوم الحساب⁷⁶. (الصاوي، ص: 439)

5-2- الكناية عن العورة:

في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَجُلُودُهُمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا ﴾⁷⁷ (سورة فصلت، الآية: 21)، فكنى الجلود عن الفروج أي "لفروجهم"، على ما ذكره المفسرون⁷⁸ (الزركشي، ص: 305). وقوله تعالى: ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَّوُّهَا ﴾⁷⁹ (سورة الأحزاب، الآية: 27)، وهي كناية عن فروج النساء ونكاحهن، وهذا من جيد الكنايات ونادرها لمطابقته لقوله تعالى: ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ﴾⁸⁰ (سورة البقرة، الآية: 223)، "والحرث يكون في الأرض، فلهذا ازدادت الكناية رشاقة وحسنا"⁸¹. (ابن الأثير، ص: 305)

5-3- العلاقة بين الرجل و المرأة:

من عادة القرآن أن يكتفى عن الجماع باللمس والرفق مباشرة. فقولته تعالى: ﴿ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾⁸² (سورة مريم، الآية: 20)، من الكنايات اللطيفة، وهي كنايات عن المعاشرة الزوجية بالجماع. وقوله تعالى: ﴿ وَرَأَوْنَهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا ﴾⁸³ (سورة يوسف، الآية: 23)، وهي كناية عما تطلبه المرأة من الرجل.

5-4- البخل:

قال تعالى: ﴿ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾⁸⁴ (سورة التوبة، الآية: 67)، قبض اليد كناية عن الشح والبخل وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ﴾⁸⁵ (المائدة، الآية: 64)، فإن الغل كناية عن البخل، وقيل: إنهم أبخل خلق الله⁸⁶. (الزركشي، ص: 308)

خاتمة:

ومن خلال دراستنا لهذا الموضوع خلصنا إلى بعض النتائج نلخصها فيما يأتي:

- 1_ تدرج الكناية تحت لواء البلاغة التي تتضمن عناصر مغرية وملبئة بالدراسات البلاغية.
- 2_ تقوم الكناية القرآنية بدورها كاملا في أداء المعاني وتصويرها خير أداء كما أن الكناية هي وجازة التعبير عن المعنى المراد.
- 3_ جمال الكناية لا يرجع إلى كونها خالقة لمعنى واحد، بل هي إبلاغ لمعنى يمكن التصريح به والتعبير عنه بأسلوب آخر يفتقد مزية المبالغة في أدائه.
- 4_ كل كناية استعارة، فالتحول من البنية الأصلية إلى البنية الكنائية يكاد لا يفترق في إنتاج المعنى عموما.

5_ إعجاز القرآن لا يكمن في مفرداته، بل في ذلك النظر الرطب والنسيج القشيب، والسر في ذلك أن كنايات القرآن خالدة، ذلك لأنها تبنى من عناصر ثابتة في الإنسان أو الطبيعة لا تختلف باختلاف العصر.

6_ للكناية قدرة على تحريك الذهن، والتلذذ للوصول إلى المعنى العميق بعد طول تفكير، فالنفس تشعر بالسعادة بعد طول معاناة وتعب.

هوامش البحث:

- 1- ابن منظور، لسان العرب، مادة كنى، دار صادر للطباعة والنشر، ط1، 2000، مج13، ص123.
- 2- المصدر نفسه، مادة كنى، مج13، ص124.
- 3- الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل محمود عيون السود، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، د ت، ج2، ص149.
- 4- سورة الرحمن، الآية: 26.
- 5- سورة القيامة، الآية: 26.
- 6- سورة ص، الآية: 32.
- 7- عبد العزيز عتيق، علم البيان، دار النهضة، بيروت، 1985، ص204.
- 8- الجاحظ، البيان والتبيين، تح: حسن السندوي، دار إحياء العلوم، بيروت، ج1، ص88.
- 9- المبرد، الكامل، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، د ت، ج2، ص209.
- 10- قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تح: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، ط3، القاهرة، 1978، ص113.
- 11- أبو هلال العسكري، الصناعتين، تح: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1981، ص268.
- 12- سورة الرحمن، الآية: 56.
- 13- ينظر: المصدر نفسه، ص268.

- 14- ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط5، بيروت، 1981، ج1، ص.271
- 15- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تص: محمد عبده، تع: محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، ص.52
- 16- ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة المصرية صيدا، ج3، ص58.
- 17- الأزهر زناد، دروس في البلاغة العربية نحو رؤية جديدة، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، 1992، ص84.
- 18- المرجع نفسه، ص85.
- 19- عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، القاهرة، 1999، ج3، ص150.
- 20- ينظر: المرجع نفسه، ص150.
- 21- سورة القلم، الآية: 16.
- 22- ينظر: الزمخشري، الكشاف في حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الفكر، ط4، بيروت، 1983، ج1، ص349.
- 23- عيسى علي العاكوب وسعيد الشتيوي، الكافي في علوم البلاغة العربية، الجامعة المفتوحة، ج2، ص548.
- 24- آل عمران، الآية: 155.
- 25- المرجع نفسه، ص548.
- 26- م ن ص ن.
- 27- سورة الزخرف، الآية: 18.
- 28- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ط2، ج2، ص391

- 29- محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، تع: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 402.
- 30- المصدر نفسه، ص 402.
- 31- عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية (علم البيان)، دار النهضة العربية، بيروت، ص 217.
- 32- سورة الزمر الآية: 56.
- 33- احمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ضبط: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، 2003، ص 289.
- 34- المرجع نفسه، ص 289.
- 35- سورة البقرة، الآية: 209.
- 36- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص 312.
- 37- أحمد مصطفى مراغي، علوم البلاغة (البيان، المحاني، البديع)، دار الكتب العلمية، ط3، بيروت، 1993، ص 305.
- 38- المرجع نفسه، ص 305.
- 39- المرجع نفسه، ص 305.
- 40- عيسى علي العاكوب وسعيد الشتيوي، الكافي في علوم البلاغة العربية، ص 560 .
- 41- المرجع نفسه، ص 560.
- 42- محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، ص 411.
- 43- المصدر نفسه، ص 412.
- 44- ينظر: عيسى علي العاكوب وسعيد الشتيوي، الكافي في علوم البلاغة العربية، ص 556 .
- 45- ينظر: ابن عبد الله شعيب، البلاغة العربية الواضحة علم البيان، دار الهدى، ط1، عين مليلة، الجزائر، ص 213.
- 46- سورة الرعد، الآية: 17.
- 47- ينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص 579.

- 48- ينظر: ابن عبد الله شعيب أحمد، بحوث منهجية في علوم البلاغة، ابن خلدون للنشر والتوزيع، ص222.
- 49- سورة الإسراء، الآية: 51.
- 50- عبد الفتاح لاشين، البيان في ضوء أساليب القرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، 2004، ص 20.
- 51- ينظر: عبد الحميد ناجي، الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، المؤسسة الجامعية للنشر، ط1، بيروت، 1984، ص233.
- 52- ينظر: المرجع نفسه، ص230.
- 53- سورة العلق، الآية: 9، 10.
- 54- محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج3، ص584.
- 55- سورة مريم، الآية: 4.
- 56- ينظر: محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج2، ص217.
- 57- سورة الأعراف، الآية: 189.
- 58- جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص575.
- 59- سورة الأنفال، الآية: 16.
- 60- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص302.
- 61- سورة الأعراف، الآية: 189.
- 62- محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج1، ص131.
- 63- سورة المائدة، الآية: 64.
- 64- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج2، ص131.
- 65- سورة البقرة، الآية: 24.
- 66- سورة المسد، الآية: 4-5.
- 67- السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص577.

- 68- سورة الإسراء، الآية: 29.
- 69- رابع دوب، البلاغة عند المفسرين في نهاية القرن الرابع هجري، دار الفجر، ط2، 1999، ص336.
- 70- سورة الصافات، الآية: 49.
- 71- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج2، ص307.
- 72- سورة الزمر، الآية: 67.
- 73- مصطفى الصاوي، منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه، دار المعارف، ط3، ص251.
- 74- سورة الإنشقاق، الآية: 19.
- 75- سورة القيامة، الآية: 29، 30.
- 76- ينظر: محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج3، ص439.
- 77- سورة فصلت، الآية: 21.
- 78- ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص305.
- 79- سورة الأحزاب، الآية: 27.
- 80- سورة البقرة، الآية: 223.
- 81- ابن الأثير، المثل السائر، ص305.
- 82- سورة مريم، الآية: 20.
- 83- سورة يوسف، الآية: 23.
- 84- سورة التوبة، الآية: 67.
- 85- سورة المائدة، الآية: 64.
- 86- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص308.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- أساس البلاغة، الزمخشري، تح: محمد باسل محمود عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ج2.

- 2- الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، 1984، عبد الحميد ناجي، المؤسسة الجامعية للنشر، ط1، بيروت.
- 3- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ط2، ج1/ج2.
- 4- البلاغة العربية الواضحة علم البيان، شعيب ابن عبد الله، دار الهدى، ط1، عين مليلة، الجزائر.
- 5- البلاغة عند المفسرين في نهاية القرن الرابع هجري، 1999، رابح دوب، دار الفجر، ط2.
- 6- البيان في ضوء أساليب القرآن، 2004، عبد الفتاح لاشين، دار الفكر العربي، القاهرة.
- 7- البيان والتبيين، الجاحظ، تح: حسن السندوي، دار إحياء العلوم، بيروت، ج1.
- 8- الصناعتين، 1981، أبو هلال العسكري، تح: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت.
- 9- العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن الرشيقي القيرواني، 1981، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط5، بيروت، ج1.
- 10- الكافي في علوم البلاغة العربية، عيسى علي العاكوب وسعيد الشتيوي، الجامعة المفتوحة، ج2.
- 11- الكامل، المبرد، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة، ج2.
- 12- الكشف في حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 1983، الزمخشري، دار الفكر، ط4، بيروت، ج1.
- 13- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة المصرية صيدا، ج3.
- 14- بحوث منهجية في علوم البلاغة، شعيب ابن عبد الله، ابن خلدون للنشر والتوزيع.
- 15- بغية الإيضاح للتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، 1999، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، القاهرة، ج3.
- 16- جواهر البلاغة، 2003، ضبط احمد الهاشمي، يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت.
- 17- دروس في البلاغة العربية نحو رؤية جديدة، 1992، الأزهر زناد، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت.

- 18- دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني، تص: محمد عبده، تع: محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 19- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، ج1/2/ج3.
- 20- علم البيان، 1985، عبد العزيز عتيق، دار النهضة، بيروت.
- 21- علوم البلاغة (البيان، المعاني، البديع)، 1993، أحمد مصطفى مراغي، دار الكتب العلمية، ط3، بيروت.
- 22- في البلاغة العربية (علم البيان)، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت.
- 23- لسان العرب، 2000، ابن منظور، مادة كنى، دار صادر للطباعة والنشر، ط1، مج13.
- 24- مفتاح العلوم، محمد بن علي السكاكي، تع: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 25- منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه، مصطفى الصاوي، دار المعارف، ط3.
- 26- نقد الشعر، 1978، قدامة بن جعفر، تح: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، ط3، القاهرة.